International Journal of Advanced Research on Law and Governance
Volume 5, Issue 2, 2023. 47 - 67

Open Access VOL5(2) 2023

The Social Structure of Tuareg Tribes in Algeria: A Field Study in Social Anthropology within the Tuareg Tribe in Algeria.

Prof. Dr. Alia Al-Husseini

Assistant professor and department head of Faculty of African studies, Cairo University

Prof. Dr. Mahmoud Abdel-Hamid

Dean of Institute of Islamic Studies - Cairo University

Prof. Dr. abdul Rahim Tammam Abu Kreisha

Professor of sociology and anthropology - Institute of African Research and Studies and Nile basin countries, Aswan University

Ms. Basmaa Abdallah Mahmoud Abu Alhassan

Master's researcher - Department of Social Anthropology - Institute of African Research and Studies and Nile basin countries, Aswan University

Abstract:

This study was conducted to explore the Tuareg tribes and their social structure in Algeria, aiming for comprehensive knowledge of these tribes. They are distributed across various Arab and African countries.

The study's problem centers on understanding the social structure of the Tuareg tribe, exploring their social upbringing and cultures. The goal is to gain full cognitive preparation about these marginalized tribes, shedding light on their geographical, natural, social, economic, intellectual, and religious aspects.

It was deemed necessary to highlight the Tuareg tribes and understand the essential geographical, natural, social, economic, intellectual, and religious aspects. This involves delving into the past of these veiled individuals, known as the Tuaregs, who are organized into clans and groups living within social, political, and economic units.

References were made to articles, page reports, as well as some documentary sources documenting the history and social-cultural life of Tuareg tribes in Algeria. The study is divided into three axes: the first axis addresses studies related to social structure in general, the second axis focuses on studies related to social structure in Algeria, and the third axis tackles studies related to the social structure of the Tuareg tribe in Algeria.

Keywords: Tuaregs, Algeria, Social Structure, Amazigh.

International Journal of Advanced Research on Law and Governance
Volume 5, Issue 2, 2023. 321 - 339

Citation: Basma Abdullah Mahmoud, The Social Structure of Tuareg Tribes in Algeria: A Field Study in Social Anthropology within the Tuareg Tribe in Algeria, The International Journal of Advanced Research on Law and Governance, Vol.5, Issue 2.
© 2023, Mahmoud, B, licensee The Egyptian Knowledge Bank (EKB). This article is published under the terms of the EKB which permits non-commercial use, sharing, adaptation of the material, provided that the appropriate credit to the original author(s) and the original source is properly given.

البناء الاجتماعي لقبائل الطوارق بالجزائر

دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية في قبيلة الطوارق بالجزائر

الباحثة: بسمة عبدالله محمود ابوالحسن

معهد البحوث و الدراسات الافريقية و دول حوض النيل، قسم الانثروبولوجيا الاجتماعية، جامعة اسوان

الملخص:

تم الاقدام على اعداد هذه الدراسة لمعرفة قبائل الطوارق والبناء الاجتماعي لتلك القبائل في الجزائر وذلك من اجل التهيئة المعرفية الكاملة لهذة القبائل، و التى تتوزع أماكن تواجدها في العديد من البلدان العربية والأفريقية. و تركزت مشكلة الدراسة في محاولة للتعرف على البناء الاجتماعي لدى قبيله الطوارق وكيفية التنشئة الاجتماعية وثقافات هذه القبائل وذلك بهدف التهيئة المعرفية الكاملة لهذه القبائل لمعرفة المزيد عن حياتهم والبناء الاجتماعي لدى تلك القبائل المهمشة.

لذا رأينا انه من اللازم تسليط الضوء على قبائل الطوارق والتعرف على اهم الجوانب الجغرافية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية، وبالتالي معرفة ماضى هؤلاء الملثمين الملقبين بالطوارق الذين توزعوا على شكل عشائر وبطون تعيش ضمن وحدات اجتماعية وسياسية واقتصادية.

و قد تم الاسترشاد ببعض المقالات والتقارير الصفحية التي أجريت بشأن قبائل الطوارق وهذا بجانب بعض المراجع والمصادر الوثائقية التي وثقت تاريخ وحياة قبائل الطوارق الاجتماعية والثقافية في الجزائر، وتم تقسيمها الي ثلاث محاور، المحور الأول يتناول الدراسات المرتبطة بالبناء الاجتماعي بوجه عام، والمحور الثاني يتناول الدراسات المرتبطة بالبناء الاجتماعي في الجزائر، والمحور الثالث يتناول الدراسات المرتبطة بالبناء الاجتماعي لقبيلة الطوارق بالجزائر.

المقدمة:

تحدث براون وبريتشارد في مفهوم البناء الاجتماعى بأن العلاقة الاجتماعية التي تعد أصغر وحدة من وحدات البناء الأجتماعى وهي التي تشكل العمود الفقرى في الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية لأن العلاقات الاجتماعية تقوم بين اشخاص في مراكز متميزه وأنها تنتظم في نظم اجتماعية وانساق متنوعة كنظام الزواج او الملكية حيث يلعب النظام الواحد دور محدد في تحديد أنماط السلوك الاجتماعى المرغوبة في هذا النظام بمعنى ان النظام الاجتماعى هو ذلك السلوك المتقن السائد في المجتمع. [1]

و قد تم الاقدام على اعداد هذه الدراسة لمعرفة قبائل الطوارق والبناء الاجتماعي لتلك القبائل في الجزائر وذلك من اجل التهيئة المعرفية الكاملة لهذة القبائل؛ وقبائل الطوارق عبارة عن مجموعة من القبائل التي تسكن في منطقة الصحراء الكبرى بشمال إفريقيا، وتتوزع أماكن تواجدها في العديد من البلدان العربية والأفريقية، وقبائل الطوارق هم السكان الأصليون لمنطقة غرب الصحراء الكبرى، ومن أشهر شخصيات الطوارق التاريخية شخصية طارق بن زياد الذي دخل في الدين الإسلامي عقب الفتوحات الإسلامية لمنطقة الصحراء الكبرى بقيادة عقبة بن نافع، ومنذ دخول الإسلام بالمنطقة يتبع الطوارق الدين الإسلامي على المذهب السني المالكي، ويتحدثون اللغة الطارقية وهي إحدى لهجات اللغة الأمازيغيّة، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين قد اختلفوا في سبب تسمية الطوارق بهذا الاسم؛ فمنهم من أرجع سبب التسمية نسبة إلى طارق بن زياد حيث كان يطلق عليهم قبائل البربر قبل ذلك، ومنهم من ذكر أن كلمة "الطوارق" مشتقة بحسب لغتهم من كلمة "تاركا" وتشير هذه الكلمة إلى أحد الأودية بمدينة مراكش حيث كانت تقطن تلك القبائل؛ والطوارق هو الاسم الذى تطلقه الأمم على اهل الصحراء الكبرى في حين يطلقون هم على انفسهم اسماً اخر مستعار من تراثهم وتاريخهم وتجربتهم ولغتهم وهناك من يقول بأن تسمية الطوارق حديثة اما الأسماء المتعارف عليها لهذة القبائل هي (اموهاغ) وتطلق على قبائل ليبيا، و في النيجر (اموجاغ)، وفى مالى (اموشاغ) و الأختلاف بسيط في بعض الحروف، و ان منطقة الجنوب الليبى يطلقون عليهم (تارجا) اى الجنوب ؛ من الناحية العرقية خليط من العرب والأمازيغ ويمكن وصفهم بأنهم جنس أبيض مع ميل إلى السمرة.

والمجتمع الطارقي يحتل موقعا متميزا في الجزائر، فقد كان ولا يزال مجالا يجلب اهتمام الباحثين وعلماء الأنثروبولوجيا، فقد اهتم به الرحالة العرب على غرار ابن حوقل، والبكري، وابن بطوطة، والإدريسى والحسن الوزاني، كما كان محل دراسات في العصر الحديث من قبل عدد كبير من الرحالة، وعلماء الاجتماع والعسكريين، والمغامرين، والمبشرين لاسيما الأوربيون منهم، على غرار شارل دي فوكو صاحب أول قاموس فرنسي طوارقي، ودوماس، وهنري لوت، وبول باندولفي، حيث صدرت لهم كتابات تعالج خصوصيات هذه القبائل بداية من منتصف القرن التاسع عشر، وتواصلت متدفقة على امتداد القرن العشرين[2].

1. شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981، ص56.
2. -اسماعيل أحمد محمد، أثر الواسطية في نشر الطوارق للاسلام في غرب افريقيا، جامعة الوادى، 2017، ص335.

مشكلة الدراسة

تركزت مشكلة الدراسة في محاولة للتعرف على البناء الاجتماعي لدى قبيله الطوارق وكيفية التنشئة الاجتماعية وثقافات هذه القبائل وذلك بهدف التهيئة المعرفية الكاملة لهذه القبائل لمعرفة المزيد عن حياتهم والبناء الاجتماعي لدى تلك القبائل المهمشة.

كما تمحورت المشكلة في محاولة الوقوف على الحدود الفاصلة بين الأسطوري والواقعي في حياة بدو الطوارق، وتقديم إجابات لجملة من التساؤلات المهمة المتفرعة عنها، وتصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن هذا الشعب العريق نظرا لقلة الدراسات من المؤرخين العرب.

أهمية الدراسة

نظرياً: تسليط الضوء على قبائل الطوارق والتعرف على اهم الجوانب الجغرافية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية، وبالتالي معرفة ماضى هؤلاء الملثمين الملقبين بالطوارق الذين توزعوا على شكل عشائر وبطون تعيش ضمن وحدات اجتماعية وسياسية واقتصادية.

تطبيقياً: نظراً للتهميش الكبير الذي عانته قبائل الطوارق العريقة من قبل المؤرخين العرب بالرغم من تاريخهم واهميتهم التاريخية الكبيرة فسنحاول ان نعطيهم حقهم من البحث وتسليط الضوء عليهم اجتماعياً وثقافياً وفكرياً بقدر من الأنصاف وتعريف المجتمعات الأفريقية بهذا الشعب العريق.

أهداف الدراسة

1. التعرف على النسق الايكولوجي لقبيلة الطوارق.
2. التعرف على النسق الاقتصادي لقبيلة الطوارق.
3. التعرف على النسق القرابى لقبيلة الطوارق.
4. التعرف على النسق السياسيى لقبيلة الطوارق.
5. التعرف على النسق الديني لقبيلة الطوارق.

اهميه تحديد المفاهيم في البحث الانثروبولوجي:

المفاهيم (concepts) هي أجزاء من مضمون الفكر، مثل هذه المضامين هي التي تحدد الأحداث والقدرات الذهنية التي قد تكون ثابتة لدى أحدهم مع مرور الزمن، وان يكون لدى المرء مفهوم يعني انه قادر على التفكير بأفكار تتضمن مفاهيم [3].

3.Tyler Burge, CONCEPTS, DEFINITIONS, AND MEANING, October 1993, pp. 309.

وتُعد تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية (Concepts and Terms) امرا ضروريا في البحث العلمي على وجه العموم والبحث الانثروبولوجي على وجه الخصوص، ذلك لان البحث العلمي يحتاج الى درجة كبيرة من الدقة والتحديد، كما ان البحث الانثروبولوجي الى جانب ذلك يستمد اغلب مفاهيمه من لغة الحياة العملية. تعد المفهومات دائما من الصفات المجردة التي تشترك فيها الاشياء والوقائع والحوادث من دون ان تعني واقعة او حادثة بعينها، او شيئا بذاته.

والمفاهيم (Concepts) ما هي الا ملخصات لمجموعة كاملة من السلوكيات والمواقف والخصائص التي نجد فيها جوانب مشتركة. وليس لها وجود مستقل (في مكان بعيد)، كما ليس لها معنى ثابت او محدد. اذ انها مصطلحات اوجدها الناس لغرض الاتصال.

يختلف المختصون بالانثروبولوجيا فيما بينهم حول دلالات ومضامين المصطلحات، فكل عالم يعطي معنى معينا للمصطلح، وفقاً للأطر المرجعية والمنهجية التي ينطلق منها، وإن تحديد المفهومات والمصطلحات العلمية يشكل مدخلاً أساسياً في التحليل الانثروبولوجي، إذ يتناول هذا المبحث مجموعة المفهومات والمصطلحات العلمية التي تشكل الأساس النظري للبحث، فضلاً عن ذلك ان استخدام المفاهيم بمثابة مفاتيح رئيسة من خلالها نستطيع بناء التساؤلات لوصف موضوع الدراسة وتحليلها بشكل علمي.

مفاهيم الدراسة

1. **البناء الاجتماعي**

وهو مجموعة الأطر التنظيمية التى تنتظم في اطارها كافة العلاقات الإنسانية سواء تلك العلاقات البينية بين الافراد والأشخاص داخل مجتمع ما او تلك التبادلية بين الأفراد في مجتمع ما وغيره من المجتمعات ويمكن القول بأنه النظام الاجتماعى العام [4].

وبمعنى أخر يمكن تعريف البناء الاجتماعي بأنه مجموعة الأطر التنظيمية التي تنتظم في إطارها كافة العلاقات الإنسانية، سواء تلك العلاقات البينية بين الأفراد أو الأشخاص داخل مجتمع ما، أو تلك العلاقات التبادلية بين الأفراد في مجتمع ما وغيره من المجتمعات،

ويمكن القول البناء الاجتماعي هو النظام الاجتماعي العام، وهو عبارة عن مجموعة النظم الاجتماعية الرئيسية والفرعية داخل المحيط البيئي لأي مجتمع، ومفهوم البناء الاجتماعي بما يتضمنه من نظم اجتماعية رئيسية وفرعية- هو مفهوم يرتبط بالسلوك الإنساني أو بتلك الظواهر التي تتأثر بالسلوك الإنساني

والنظم الاجتماعية التي تشكل في مجملها البناء الاجتماعي هي في حد ذاتها عبارة عن مجموعة مترابطة من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالسلوك الإنساني، وتتحدد طبيعة كل نظام اجتماعي بموجب هذا الترابط بين

مجموعة الظواهر الاجتماعية المتعلقة بناحية معينة من السلوك الإنساني التي تميز كل نظام اجتماعي عن النظام الأخر، وعبر الترابط بين الظواهر الاجتماعية المتسقة ينشأ النظام الاجتماعي، ثم عبر الترابط بين النظم الاجتماعية ينشأ البناء الاجتماعي، ومن هنا يظهر مفهوم الوظيفة الاجتماعية.

2. **الوظيفة الاجتماعية**

أوضح ميرتون أن مفهوم الوظيفة وطبيعتها أكثر تعقيداً، مما ذهب إليه بارسونز، إذ أنها قد تكون ظاهرة ولكنها أيضاً قد تكون كامنة، مستترة في نفس الوقت، أو بمعنى آخر فإن نفس النمط الاجتماعي، قد يكون بوظيفة ظاهرة متعارف عليها بشكل عام، ولكنه قد يقوم في الوقت ذاته بوظيفة أخرى كامنة لا يدركها إلا المختصون، وكلا النوعين من الوظيفة يسهم في بقاء النسق واستمراره.

ولنأخذ مثلاً على ذلك نمطاً اجتماعياً محدداً وهو الاختيار للزواج، وهو نمط موجود في المجتمع العربي، والمجتمع الصناعي، والمجتمعات الأخرى بشكل عام، ويمارس هذا النمط بكل متكرر من قبل غالبية الأفراد، ويدعم من قبل المعايير الثقافية في هذه المجتمعات.

ويكشف التحليل الوظيفي غير المتعمق عن الوظيفة الظاهرة المعروفة لهذا النمط، وهي إشباع الحاجات العاطفية للأفراد بشكل منتظم، ومقبول اجتماعياً، وما ينتج عن ذلك من أطفال يربون وينشؤون بطريقة محددة من قبل الثقافة، ليتمكنوا فيما بعد من شغل مكانات موجهة في البناء الاجتماعي، ترتبط بها أدوار معينة يؤدي النجاح فيها إلى الإسهام إيجابياً في بقاء النسق واستمراره، و لكن التعمق في التحليل يكشف لنا الوظيفة الكامنة لهذا النمط، فيتضح أن له دوراً في تدعيم التقسيم الطبقي في المجتمع، وبخاصة في المجتمعات الصناعية والمجتمعات العربية.

3. **القبيلة**

وهي جماعة الناس التي تنتمي في الأغلب الى نسب واحد يرجع الى جد اعلى او اسم حلف قبلى يعد بمثابة جد وتتكون من عدة بطون وعشائر وغالبا ما يسكن افرادها اقليماً مشتركا يعدونه وطناً لهم ويتحدثون لهجة او لهجات مميزة للغة وثقافة مشتركة .

كما انها أكبر الوحدات القرابية المعتمدة وحدة النسب وتتكون من مجموعة من العشائر. وتظل القبيلة واحدة مادامت العشائر التي تتألف منها تنتظم في بناء أحادي للقرابة الدموية النابعة من النسب المشترك.

وقد تكون للقبيلة سلطة سياسية مركزية وقد لا تكون كما هو الحال (في المجتمع الانقسامي). والقبيلة مجموعة تتزاوج في الاغلب داخليا وقد تنقسم -اذا كانت كبيرة- الى عشائر تعيش سوية أو في اقاليم مختلفة وترتبط في الحالتين بروابط اجتماعية واقتصادية فضلا عن روابط القرابة ويحس أفرادها بروح الجماعة وتكون لهم نظرة موحدة للعالم الخارجي [5].

وقد تلتقي مجموعة من العشائر بجد جامع معلوم وتسمى باسمه، وربما في بعض هذه العشائر من لا تلتقي بالجد الجامع فقد تكون داخله عن طريق الحلف أو المكاتبة ويطلق عليها في بعض المناطق (ذبابة جرش) كما يطلقون على القبائل المنحدرة من صميم القبيلة (الإصحاح) أو الأصل وقد يعمل رؤساء القبائل إلى عدم ذكر العشائر المتحالفة معهم حتى في مجال البحث والتوثيق وذلك لسببين هما: • للحفاظ على كبر القبيلة وهيبتها قياسا بالقبائل الأُخرى وتوسع سلطة الرئاسة وكبر نفوذها وامتداد مشيختها. • ان البعض من رؤساء القبائل ليسوا من صميم قبائلهم في النسب لاسيما إذا كانت تلك القبائل تشكل الأحلاف فيها نسبة كبيرة قد تكون نصف القبيلة فهذا الأمر يدعو رئيس القبيلة إلى التزام العشائر الحليفة والتمسك بها ومساواتها مع العشائر المنحدر نسبا لتلك القبيلة.

4. التعريف بقبائل الطوارق.

هم عبارة عن مجموعة من القبائل التي تسكن في منطقة الصحراء الكبرى بشمال إفريقيا، وتتوزع أماكن تواجدها في العديد من البلدان العربية والأفريقية [6].

5. التعريف بنسب قبائل الطوارق.

يرجع نسب قبائل الى طارق بن زياد الذي دخل في الدين الإسلامي عقب الفتوحات الإسلامية لمنطقة الصحراء الكبرى [7].

6. التعريف باقتصاديات الطوارق.

كان للطوارق بصمة واضحة في تاريخ شمال افريقيا الاقتصادى التي هيمنت على جزء من المحور الغربى للتجارة العابرة للصحراء [8].

تساؤلات الدراسة

1. ما هوالنسق الايكولوجى لقبيلة الطوارق؟
2. ما هوالنسق الاقتصادى لدى قبيلة الطوارق؟
3. ما هوالنسق القرابى لدى قبيلة الطوارق؟
4. ماهو النسق السياسى والدينى لدى الطوارق؟

4. جمال سلامة على : النظام السياسي والبناء الاجتماعى : النموذج الوقعى لتحليل النظم السياسية , دار النهضة العربية . 2006 .
5. سليم، قاموس الانثروبولوجيا، 1981 ، الصفحات 989-988.
6. أبن بطوطة : تحفة النظام فى غرائب الامطار وعجائب الاسفار الجزء الأول
7. رسائل الى المرابطين : رسائل الطوارق الى الاب شار روفقو , 1999
8. يوهانس نيكولاس فلكولور الطوارق: قصائد واغانى من الوذاغ . 1994.

المناهج الدراسية

لقد تنوعت واختلفت مناهج البحث المستخدمة في الفكر الأنثروبولوجي وكان السبب الرئيسي في حدوث هذه الاختلافات في اهتمام الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا، والمراحل التاريخية لتطور الأنثروبولوجيا، كما كان لتأثر الفكر السوسيولوجي والأنثربولوجي بالتيارات الفكرية الكبرى من مرحلة زمنية لأخرى من أهم أسباب تنوع واختلاف مناهج البحث.

ولقد ساهم العالم الفرنسي إميل دور كايم في معالجة الظواهر الاجتماعية من خلال المنهج العلمي الأمر الذي ترك أثرا كبيرا لدى الأنثروبولوجيين، كما أنه قد أثار عددا كبيرا من القضايا في الفكر الأنثروبولوجي.

ولقد قام العالم البريطاني راد كليف براون والذي تأثر بالمنهج الدوركايمي بإكساب الأنثروبولوجيا الاجتماعية خصائص العلم الطبيعي، حيث أنه كان ينظر للأنساق الاجتماعية على أنها أنساق طبيعية وليس هناك أي داعي لكي يعرف تاريخ نشأة هذه الأنساق وتطورها.

1.المنهج الأنثروبولوجي

من المناهج البحثية المستخدمة في الدراسات الانثروبولوجية للمجتمعات الريفية والحضرية حيث يتم عرض ما تم تجميعه من بيانات من دراسات سابقة، حيث نقدم نبذة تاريخية ومعاصرة عن قبائل الطوارق في ثوب انثروبولوجي.

2.المنهج الوصفي

هو طريقة لدراسة الظواهر او المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية و من ثم الوصول الى تفسيرات منطقية لها دلائل و براهين تمنح الباحث القدرة على وضع اطر محددة للمشكلة.

صورة مجتمع الطوارق بما هي عليه الان تشكلت ملامحها تدريجياً عبر العصور ولأنه لا يتثنى فهم بنية مجتمع الطوارق إلا باستنطاق تاريخ تكوينها، جاء هذا البحث لوصف مجتمع الطوارق وتسليط الضوء على البناء الاجتماعى لهذا المجتمع ووصفه وصفاً كاملا ودقيقاً.

3- المنهج التاريخي:

تستخدم هذه الدراسة المنهج التاريخى الذى يصف ويسجل ما مضي من وقائع واحداث ماضية ويدرسها ويفسرها ويحللها على اسس علمية منهجية دقيقة بقصد التوصل الى حقائق تساعدنا فى فهم الحاضر على ضوء الماضى والتنبئ بالمستقبل.

أدوات الدراسه

1- اخباريون:

هي الاستعانه باخباريين من كبار السن العارفين بالعادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع ومن خلال هذه الطريقة يتمكن الباحث من معرفة كافة المعلومات المتعلقة بجوانب الاحداث الاجتماعية التي لا تتاح له فرصة بالمشاركة فيها، ويتم اختيار اخباريين من كبار السن وذلك لمعرفة تسلسل بعض الاحداث الزمنية.

كذلك يملكون مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة بين أعضاء المجتمع ولهم سلطة مؤثرة على كافة أعضاء الجماعة كما يجب ان يكون الأخبارى متمعاً بالخلق الطيب ومتميزاً بحب واحترام المجتمع.

2- دليل العمل الميدانى:

يتمثل دور العمل الميداني في الأنثروبولوجيا في البحث عن التنوع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المجتمعات البشرية. يتضمن العمل الميداني جمع البيانات والمعلومات والتحليلات عن ثقافات الشعوب المختلفة، والاستماع للآراء والمعتقدات والتجارب الحياتية لمجموعة مختارة من الأفراد. ويتوجه العلماء الانثروبولوجيون إلى الميدان في محاولة لفهم السلوك البشري وكيفية تكوين المجتمعات والقيم الثقافية والتغيرات التي قد تطرأ على هذه المجتمعات. وبهذه الطريقة، يمكن للعلماء الانثروبولوجيين تطوير فهم أعمق وأكثر شمولاً لثقافات ومجتمعات العالم، مما يساهم في رفع وعي العامة حول القضايا المتعلقة بالأنسان والثقافة والتنوع الثقافي.

نظرية الدراسة

1. نظرية رؤى العالم

وهي أحد المداخل النظريه في البحث العلمى والدراسات الانثروبولوجيه لما له من اهميه كبرى في فهم المقومات والعوامل الاجتماعيه والثقافيه في اى مكان ويقصد به كل الأفكار والتصورات التي تقوم على أساس الافتراضات التي يسلم بها الانسان في ذلك العالم وذلك الوجود [9].

2. النظرية البنائية الوظيفية

ان النظرية البنائية الوظيفية هي اتجاه قديم وحديث في نفس الوقت حيث انها تتأصل في فلسفات وأفكار وبحوث المفكرين الأوائل كما نجد بروزها فى اعمال حديثة كثيرة، مما يعنى انها لا تعود الى اسهامات وجهود منفردة للمفكر بحد ذاته وانما تستند الى ارث فكرى وتاريخى واجتماعى قديم وحديث.

9. فاروق أحمد مصطفى , محمد عباس ابراهيم : الانثروبيولوجية ثقافية , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , 2010, ص86 .

من خلال موضوع البحث للتعرف على مدى علاقة قبيلة الطوارق بالمجتمع الذي يعيشون فيه وعلاقتهم بالقبائل المجاورة حيث ان ذلك يتطلب تطبيق نظريات الأتجاه البنائى الوظيفى حيث ان المجتمع يمثل نسق متكامل من الأجزاء المتفاعلة والمتشابكة داخل هذا الكيان؛ حيث انه لا يمكننا فهم أي جزء بمعزل عن الأخرى.

3. نظرية التكوينات الاجتماعية

وهي حجر الزاويه في فهم التاريخ واستخدام العلاقات الماديه كعلاقات اساسيه ثانويه في هذه النظريه ويتم وصف التكوين بانه كائن اجتماعى واحد لايتجزا لا ينبغي اعتبار كل مكون منها في عزله ولكن يتعلق بالظواهر الاجتماعيه الأخرى.

الدراسات السابقة

تم الاسترشاد ببعض المقالات والتقارير الصفحية التي أجريت بشأن قبائل الطوارق وهذا بجانب بعض المراجع والمصادر الوثائقية التي وثقت تاريخ وحياة قبائل الطوارق الاجتماعية والثقافية في الجزائر، وتم تقسيمها الي ثلاث محاور، المحور الأول يتناول الدراسات المرتبطة بالبناء الاجتماعي بوجه عام، والمحور الثاني يتناول الدراسات المرتبطة بالبناء الاجتماعي في الجزائر، والمحور الثالث يتناول الدراسات المرتبطة بالبناء الاجتماعي لقبيلة الطوارق بالجزائر، وتم تناولهم بالشرح كما يلي:

1- تناول الدكتور خليفي عبد القادر دراسة بعنوان" مجتمع طوارق الجزائر الخصوصيات الأنثروبولوجية والسوسيوثقافية"، تم نشرها في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية في العدد الثالث عشر من ديسمبر عام 2017، واهم النتائج التي توصل اليها هي التعريف بقبائل الطوارق وأصولها وحياتهم الاجتماعية كما ذكرها ابن بطوطة في انهم رحالة وغرابة اشكال بيوتهم وعرض مأكلهم وطريقة ونوعية اكلهم؛ كما تكلم في هذه الدراسة عن الجانب الروحي للطوارق واعتناقهم الإسلام السني وفق المذهب المالكي، وتكلم عن الكثير من اعرافهم الاجتماعية من ناحية الزواج وما يتعلق من الطقوس المصاحبة للموت والدفن وكيف انهم لا يبكون موتاهم ولا يذكرون اسمه وكل ما يرمز إليهم؛ ويدرك الباحث من تحليل هذه الصورة المعروضة، إتباع طوارق نظاما اجتماعياً جمع بين المحافظة على الكثير من الشعائر والقيم المرتبطة بالإسلام في شق العبادات، من دون التخلي في شق المعاملات عن الخصوصيات الثقافية المحلية.

2- توضح دراسة تكرا حنان وحمو علي مباركة بعنوان "قبائل الطوارق من خلال المستكشفين هنري دوفيري وشارل دوفوكو أنموذجا"، جامعة أحمد دراية – أدرار- 2020، ان الطوارق حافظوا علي عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ودينهم وكذا ونمط حياتهم التقليدية التي تميزت بالشهامة والفروسية، مما ساعدهم علي مواجهه فرنسا التي تسعي الي ضم الصحراء الجزائرية بحكم مساحتها الشاسعة، وثوراتها الطبيعية المتعددة، لهذا غيرت فرنسا اسلوبها في محاولة تحقيق مشاريعها فأرسلت البعثات التعليمية والتنصيرية

التي كانت تقدم المساعدات والاغراءات من اجل استقطاب عدد اكبر من الطوارق. ولذلك فإن هذه الرحلات الاستكشافية في ظاهرها تحمل غايات واهداف علمية عكس ما تخفية في معظمها تطمح إلى معرفة خبايا الصحراء تابعة لها والتي كانت من نوايا الدول التي كان، والتعرف على هذا البلد إلا أن نتاجاهم لم تكن وصفا جغرافيا فقط بل تقتصر على تحديد الأماكن ومميزاتها الطبيعية وكذلك التعرف على السكان وسلوكياتهم وأنواع البستهم وانماط عيشهم.

وتوصلت الي ان الطوارق موطنهم الصحراء الكبرى وشمال افريقيا ويسكنون حاليا جنوب الجزائر وجنوب غرب ليبيا، ويرجع أصل تسميتهم الي طارق بن زياد ومنهم من يقول الي نسبة الي الطرق التي يتخذونها الطوارق في اسفارهم، ومنهم من يقول التوارك نسبة الي تركهم عبادة الوثنية واعتناق الإسلام. وتميزوا باللثام واخذوه شعارا لهم.

3- دراسة اليمن شعبان، عوفي مصطفي، "بعنوان الاسرة الجزائرية عبر التاريخ الثابت والمتغير"، جامعة الشهيد مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 22، 2017، المراحل التاريخية لتطور الأسرة الجزائرية والعوامل التاريخية التي أدت إلى إحداث تغيرات في بنائها، وحجمها الذي أخذ يتقلص كما لاحظنا في إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء، حيث انتقل حجم الأسرة من 7,1 سنة 1987 إلى 5 ,9 أفراد سنة 2008، كما بينت إحصائيات الديوان بأن نسبة الأسر النووية أصبحت في ارتفاع من فترة إلى أخرى، فبعد أن كانت لا تمثل سوى 46,2 في المائة سنة 1966 أصبحت في سنة 2008 تشكل 71% من المجموع الكلي للأسر الجزائرية، وقد أدى ذلك إلى توجه عام نحو أسرة الإنجاب والتخلي عن أسرة التوجيه والتي يولد فيها الإنسان والمتكونة منه ومن إخوته ذكورا واناثا ومن والديه، وينتقل إلى أسرة التناسل التي يكونها الإنسان عن طريق الزواج والإنجاب، ويمكن تفسير هذه التحولات التي طرأت على الأسرة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا بالتأثيرات التي أحدثتها عملية التنمية بمفهومها الواسع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتبعا للمنظور السوسيولوجي فإن تغير النسق الكلي يؤدي بالضرورة إلى تغيرات في الأنساق الجزئية التي تمثل الأسرة أحد أنساقه أو أحد أنظمته.

ويلاحظ أن العلماء الذين يهتمون بدراسة تغير الأسرة، يركزون على العوامل الرئيسية أو المتغيرات التي تكون سببا في إحداث هذا التغير، ومن أهم تلك المتغيرات التصنيع والتحضر حيث ينظر العلماء إلى عملية التصنيع والتحضر على أنهما من العوامل التي تركت أثرها الكبير والواضح في كل المجتمعات البشرية، لكن درجة هذا الأثر نجدها متفاوتة من مجتمع إلى آخر تبعا لطبيعة أنساقه الاجتماعية ومدى استجابتها لعوامل التغير، حيث يمكن أن تكون هذه الاستجابة سريعة أو بطيئة، لهذا يكون التفاوت بين تلك المجتمعات في التغير ودرجته.

وما يمكن استخلاصه أن التغير في الجزائر مس الأسر في الوسط الحضري إلى جانب الوسط الريفي، عكس الاعتقاد السائد، وهو ما أكدته إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء، حيث بينت أن نسبة الأسر النووية أو الزواجية في الوسط الريفي أكبر من النسبة الموجودة في الوسط الحضري، حيث تبلغ الأولى (30، 71) وفي الثاني (70,90)، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ومرد ذلك حسب باحثين جزائريين فان السياسة التنموية التي انتهجتها الدولة الجزائرية كانت سياسة شاملة مست كل المناطق دون استثناء.

4- تناول اياد يونس عريبي، في دراسة بعنوان " العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى، مجلة بحوث الشرق الأوسط العدد 51، عام 2019، وتوضح هذه الدراسه ان هناك عادات وتقاليد تمثل مجموعه من السلوكيات والطقوس التي تتوارثها الأجيال وتؤدى دورا مهما في المجتماعات ومن هذه العادات والسلوكيات ماهو نافع وماهو ضار فالنافع مثل عاداتهم لمصارعه الطبيعه والتأقلم معها والتعاون وطقوس الافراح واغانيهم واشعارهم التي تلامس طبيعه المجتمع اما السلوكيات الضاره فمنها السحر والشعوذة ، وتوصلت هذه الدراسه لان الفلكلور الشعبى لهذه القبيله يتسم بالبساطه التي هي سمه الحياه في هذه الارجاء.

5- ولا ننسى ما كتب الدكتور الغالى غربى في مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية وهو ما تم نشره في social science research network (SSRN) عام 2016م.

وما خلص ايه من تلك المقاومة الباسلة والمشرفة التي خاضها سكان الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية في مواجهة الغزو الاستعماري لهذه المنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. والتي شاركت فيها معظم قبائل وعشائر الطوارق تحت قيادة زعمائها وأمناء عقالها. وهي المقاومة التي كلفت فرنسا تجنيد كامل قواتها المادية والبشرية المرابطة في الشمال الصحراوي للقضاء عليها لتأمين سيطرتها على الصحراء الجزائرية، التي بدأت تتطلع إليها عدة قوى أوربية منافسة لفرنسا؛ خاصة وأن هذه المقاومة قد كبدت الطرف الفرنسي خسائراً مادية وبشرية كبيرة وسقوط ضباطا وقادة وعسكريين.

مجتمع الدراسة

هم الشعب الذي يستوطن الصحراء الكبرى، في جنوب الجزائر، وشمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو. وهم مسلمون سنيون مالكيون، ويتحدثون اللغة الطارقية بلهجاتها الثلاث تماجق وتماشق وتماهق. وينتسب الطوارق إلى الأمازيغ، أما نسبهم من الأمازيغ فهو إلى صنهاجة. وتعد اللغة الطارقية الوحيدة من بين اللهجات الأمازيغية التي حافظت على جذور الأمازيغية التي أميتت كما يفيد محمد شفيق في معجمه الأمازيغي.

والطوارق هم الشعب الأمازيغي الوحيد الذي حافظ على أبجدية تيفيناغ. وقد عرف الطوارق عند المؤرخين بالملثمين، ويصفهم ابن عذارى المراكشي فيقول: "وهم قوم يتلثمون، ولا يكشفون وجوههم، ولذلك سموهم باللثمين، وذلك عادة لهم يتوراثونها خلفا عن سلف"[10].

وفي غياب إحصاءات دقيقة وموثقة لا يمكن إعطاء رقم صحيح عن عدد الطوارق في منطقة الساحل الأفريقي أو في دول شمال أفريقيا. وثمة تقديرات غير رسمية تذهب إلى أن عددهم الإجمالي يناهز 3.5 ملايين، وهناك تقديرات أخرى تذهب إلى أن عددهم حوالي 4 ملايين عام 2006 م، وتجدر الإشارة إلى أن الدول التي يسكنها الطوارق تحاول دائمًا تقليل عددهم في الإحصائيات الرسمية للتقليل من شأنهم.

كما يتميز مجتمع الطوارق بوجود فوارق طبقية متباينة ومتمايزة لدرجة أن التزاوج لا يتم في أغلب الأحيان بين طبقة وطبقة أخرى إلا ما ندر، وأن حرفا معينة لا يقوم بها غير المصنفين في طبقة معينة وتعتبر مشينة لطبقة أخرى إذا قامت بها، وهذا التنظيم الطبقي للوظائف والأعمال في العاصر الحاضر لم يعد معمولا به إلى حد كبير، وإن بقي معروفا إلى أي الطبقات تنتمي كل قبيلة [11].

وتحدد مكانة الشخص حسب انتمائه إلى طبقة اجتماعية محددة، وفي أعلى الهرم الاجتماعي الطارقي نجد (إيماجغن) وهم السادة، ويليهم (إينسلمن) وهم الطبقة المهتمة بالتعليم والتعلم والدين، ثم (إيمغاد) الطبقة الوسطى، (إينادن) طبقة الصناع التقليديين، (بلاس) أو (بزوس)الأرقاء المحررون. (إيكلان) طبقة العبيد [12].

10- تشارلز دانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، ص 30، ص 42، ص 19، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا.

11- Pr. Jeffrey ،Heath, (2005). A grammar of Tamashek (Tuareg of Mali). Berlin: Mouton de Gruyter.

12- عمر الأنصاري: الرجال الزرق، ص 54، دار الساقي، بيروت – لبنان.

قد ظل الفقر نسبيا بلا موطن في صحراء الطوارق طوال القرون الماضية بفضل قوافل التجارة التي لم تنقطع يوما حتى دخول الفرنسيين وهيمنتهم على الصحراء ومنافذها، وإيقافهم لتلك العجلة والشريان اللذين أنقذا سكان الصحراء من الهلاك مرات تلو أخرى، فقد تمكن الطوارق بفضل موقعهم المتوسط بين شمال إفريقيا وغربها من السيطرة على طرق القوافل المارة بأرضهم التي كانت مزدهرة، حيث كانوا يفرضون الضرائب على هذه القوافل، مقابل القيادة والحماية أو مقابل عبور الأرض.

وإذا رفضت هذه القوافل دفع الضرائب، فإنهم يستولون عليها، وقد ظلت هذه هي الحال حتى قدوم الفرنسيين الذين استغرقهم الأمر جيلا أو أكثر، والعديد من المعارك الطاحنة لإخضاع الطوارق. كذلك كان الملح الموجود في بعض مناطقهم، مثل، مناجم ملح مجزّان بغدامس، وتاودني، وبلما، ينقل في قوافل تجارية إلى أوطان الجنوب المتاخمة للأدغال ليباع هناك بوزنه ذهبا [13].

للطوارق عادات وتقاليد متميزة تختلف باختلاف الجنسيات والبيئات ، إلا أن تواجد عادات وتقاليد خاصة بعائلة أو قبيلة أو ثقافة فجميع الأفراد ملزمون بعاداتهم وتقاليدهم ويعتبرونها قوانين لا يمكن تجاوزها كما تتضمن هذه العادات والتقاليد آلية التعامل مع المناسبات العامة ، وطبيعة التواصل والتعامل بين الرجال والنساء تبدو هذه العادة غريبة ينفرد بها المجتمع الطارقي عن غيره من المجتمعات البدوية فلشاب الطارقي لما يبلغ سن البلوغله الحق في الحضور حفل المحادثة أو المقابلة ، حيث يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء، وربما حتي تعارف الذي يعقبه الغناء والرقص والموسيقي ، فنري هذه العادات غير موجودة في أماكن بدوية أخري ، وللطوارق خصوصيات سلوكية التي صارت جزء لا يتجزء من ثقافتهم وحياتهم وتحولت من مجرد أفكار وآراء إلي أسس ثابتة لا يمكن تغييرها أو تجاوزها [14] و منها اللباس التقليدي الأزرق و اللثام للرجال.

للمرأة في مجتمع الطوارق مكانة عالية وعظيمة أكثر من الرجال ولها الحرية في التصرف ولها منزلة كبيرة ، لأنها تنجب الشجعان والنبلاء ، فالمرأة الطارقية تملك البيت وكل ما فيه من أثاث هي تقوم بحلب اللبن وتحضير الحطب وإذا أراد الزوج شيئا فعليه إن يطلبه منها أولا وعلي العموم فالمرأة الطارقية تتمتع باستقلال ذاتي ، وتتمتع باستغلالية كبيرة وبجميع الحقوق التي يتمتع بها الشاب وعادة ما تكون مثقفة أكثر من الرجل وتتعلم لغة التفيناغ وكتاباتها ، وكما يترك الرجل للمرأة مساحة من الحرية بدون تحفظ كاختيار شريك الحياة ورعاية شؤون المنزل [15].

13- Rasmussen ،Susan J. (1998). "Within the Tent and at the Crossroads: Travel and Gender Identity among the Tuareg of Niger". Ethos.

14- A Political Analysis of Decentralisation: Coopting the Tuareg Threat in Mali" (Sep. 2001) The Journal of Modern African Studies Vol. 39, No. 3.

15- Karl –G. Prasse: Th Tuaregs The Blue People, Museum Tusculanum Press, University Of Copenhagen.

بالنظر إلى الحرف فهي الصناعات التقليدية في صناعة كل لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية، القصاع، الأقداح والخيمة من الجلد، وأوتاد الخيمة، ركائزها ورواحل الإبل وسروج الخيل وتجهيز الإبل بالأكياس الجلدية المنقوشة والمطرزة كما يصنعون آلات الحرب والدرق والرماح والسيوف والخناجر ويصنعون الحلي للنساء والرجال كالخواتم والأقراط والمجوهرات والخلاخيل وصياغة المعادن ولقد شاهدت الصناعات التي تصنعها هذه الطبقة في الصحراء فكانت على درجة عالية من الإتقان والجمال والنقوش المميزة بالصحراء [12].

كما يمارس الطوارق الرعي باعتباره أهم مورد اقتصادي لهم وإتباع قطعانهم بحثا عن المراعي المناسبة، فالمعروف عن الطوارق القاطنين في بيئة صحراوية جافة لا تصلح فيها الزراعة وذلك لاعتمادهم على تربية المواشي من الجمال والأبقار والنعاج والمعز التي تشكل قطعان كبيرة تلزمهم دائما علي البحث علي أماكن رعي جديدة وتوفير المياه لسقيها، حيث تعتبر الثروة الحيوانية عنصر أساسي لدي الطوارق وتوفر لهم اللحم والحليب [16].

أما الحبوب فهم ينتظرون ما توفره القوافل التجارية أو يغزو المناطق الجنوبية الفلاحية فكل واحد له حيواناته ومواشيه فماشية وقطيع الزوج تختلف عن قطيع وماشية الزوجة التي حصلتها أو أتت بها من عند أهلها حتي الأولاد يشكلنا ماشيتهم وقطيعهم منذ الولادة عن طريق الهدايا التي تمنح في اليوم السابع من طرف الأب أو الأم أو العم أو الخال وتختلف قيمة الهدية علي حسب كل واحد وهناك من يقدم ناقتين أو بقرتين أو عنزتين لذا فتشكيل قطيع كل فرد ضروري ويضعون علامات خاصة علي قطيع كل فرد من أجل عدم تعرضها للسلب أو السرقة من طرف الآخرين ، ويكلف العبيد بشؤون هذه القطعان [12].

والعبيد هم ليسوا أقارب الطوارق، وهم طبقة كبيرة عملها الأساسي هو في خدمة المنازل والقيام بالزراعة والحراسة والتزود بالماء ومختلف الأنشطة الخدمية، على أن يقوم السيد بالتكفل بإطعامهم وألبستهم.

كما يتم الحصول علي العبيد عن طريق أسرهم في الحروب، أو شرائهم، أو جلبهم من مختلف مناطق الصحراء، وأسعارهم حسب قوة العبد ودرجة جماله، يمكن للعبد أن يتزوج بموافقة سيده، ولكن بعد وفاته، فإن أولاده وكل ممتلكاته تكون في ملكية السيد، ويستطيع العبد أن يحصل على حريته ويدعي حينها بايدارفان، والايغاوالن، شرط أن يترك ديار أسياده وينتقل إلى مكان آخر ليأخذ حريته ويشكل قبيلة جديدة [17].

ويلتزم الطوارق بملابس محددة وهي جزء من تراثهم وحضارتهم منذ نشأتهم منها اللثام حيث يغطي الرجل رأسه بعمامة من القماش الأسود فالغالب يلفها حول رأسه بإحكام عدة لفات حتي لا يظهر من وجهة سوي أهداب عينية ليري بهما [12].

16- التينبكتي: الطوارق عائدون لنثور، ص 27، منشورات منظمة تامانيوت

17- أحمد بوحامدة (2018). "الطوارق والنزاع في شمال مالي: الديناميات المحلية والعوامل الإقليمية" (ط. 17). مجلة العلوم السياسية والقانون. ص. 125–144.

وتجتمع الطوارق في فصل الخريف (أغسطس – سبتمبر) حول الآبار المالحة، ويقومون بالمهرجانات والمسابقات علي المهاري وحفلات للرقص والموسيقي والمبارزات بالسيف والرمح والجري والمصارعة.

كذلك تقدم عروض لعبة (الكرة) بين المنتجعات وهي كرة صغيرة يضربها اللاعب بالعصا وتتباري النسوة يسمينها (الكري) وتنقسم النسا إلى مجموعتين كل مجموعة من حي والمجموعة التي توصل الكرة إلى المنافس تعتبر منتصرة، أما أسوات فهي حفلة تخص الجنسين حيث تعقد الشابات في صف والشباب في الصف المقابل وتقوم النساء بالغناء والرجال بالمصارعة وهناك رقصة خاصة في أسوات تسمع زيغ [18].

وفي أواخر القرن التاسع عشر قاوم الطوارق الاستعمار الفرنسي لأراضيهم، بالرغم من أنه لم يكن هناك أي تكافئ بين أسلحتهم التقليدية وأسلحة القوات الفرنسية المتطورة. بعد عدد من المذابح في كلا الطرفين، كسرت مقاومة الطوارق، وأجبروا على توقيع معاهدات سلام عام 1905 م في مالي وعام 1917 م في النيجر، في جنوب الجزائر واجهت القوات الفرنسية مقاومة عنيفة من سلطنة كل آهقار بقيادة زعيمها موسى أغ أمستان، الذي خاض عدد من المعارك دفاعا عن المنطقة. أخيرا خضعت مناطق الطوارق لسيطرة الاستعمار الفرنسي، حيث فككت سلطناتهم وأعيد تنظيمها [19].

مع أنه لم يكن هناك اتحاد قوي بين قبائل الطوارق، وكان من المألوف قيام غزوات بين السلطنات الطارقية نفسها كتلك التي حدثت بين كل آهقار وكل آجر بين عامي 1875 م و1878 م، إلا أنه لم تسيطر أي قوة خارجية على موطن الطوارق قبل الاستعمار الفرنسي، ولم يواجه الفرنسيون حينما سعوا أول مرة لتوسيع إمبراطوريتهم الاستعمارية مملكة طارقية متحدة تمتد من أزواد إلى جنوب غرب ليبيا، غير أن قبائل الطوارق منفردة أظهرت قدرات تنظيم ومهارات عسكرية فائقة في إلحاق الهزيمة بالحملات العسكرية الفرنسية التي غزت أراضيهم خلال القرن التاسع عشر، وبالرغم من أن الفرنسيين احتلوا مدينة الجزائر عام 1830 م ؛ وقد أعلنوا شمال الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا 1848 م، فإنهم لم يتمكنوا قبل 1902 م من إلحاق هزيمة عسكرية مهمة بقبائل الطوارق، ولم يتمكن الفرنسيون حتى العشرينات من القرن الماضي من السيطرة الكاملة على المناطق الصحراوية ، وقد كتب كاتب فرنسي معاصر لفترة المواجهات بين الطوارق والاستعمار الفرنسي في أوائل القرن العشرين [20].

ولا ننسى دعم الطوارق في صحراء الشمال لثوار الجزائر بالبعائر والأصواف ومشتقات الألبان برغم محن الجفاف التي توالت على هذه الصحراء بسبب كارثة التفجير النووي الفرنسي بالذات. كما لم يبخل أهل صحراء آضاغ، فيما يسمى تاليا بدولة مالي، بالأبقار وكذلك فعل أهل آير أو ما يعرف اليوم بالنيجر. فعلوا ذلك وعيا عميقا بمصير المنطقة المشترك، وببلية الاستعمار المشتركة. فكيف كوفئ هؤلاء من قبل السلطات الجزائرية بعد الاستقلال، كان أول ما فعله أول رئيس لهذه الدولة عام 1963 م هو القيام بتسليم زعماء هذه القبائل المناضلة ضد فرنسا الاستعمارية [21].

بعد استقلال الجزائر عن الاستعمار الفرنسي في عام 1962، بدأت العلاقة بين الطوارق والدولة الجزائرية تشهد توترات بسبب القضايا السياسية والاجتماعية حيث حدثت نزاعات متكررة بين الحكومة الجزائرية وبعض الجماعات الطوارق بخصوص الحكم الذاتي وتوزيع الموارد ونتج عن ذلك التوتر العديد من الثورات والمواجهات العنيفة بين الثوار الطوارق والقوات الحكومية أدت إلى سقوط عدد من القتلى بلغ الآلاف وهذا أثر على العلاقة بين الطوارق والدول القريبة منها.

ومنذ تطور الحركة الأمازيغية في شمال إفريقيا في التسعينات، بدأ الشعور القومي للطوارق في النمو. أنشئت ثلاث حركات منذ عام 1998 م لتمثيل الطوارق. لا يزال الطوارق في النيجر غير ممثلين في الحكومة المركزية مما جعلهم، مهمشين دبلوماسيا واقتصاديا. في عام 2012 م كانت الثورة الأخيرة حيث تمكنت الحركة الوطنية لتحرير أزواد التي أسسها الطوارق من تحرير إقليم أزواد وإعلان استقلاله ولكن لم تحظ الدولة الوليدة بالاعتراف الدولي.

الشعب الطارقي شعب مسلم من أصل سامي احتفظ بهويته الحضارية الأصلية وتماشق لغته الوطنية وحروف هذه اللغة تسمى (تيفيناغ) تجعل منه أحد الشعوب الإفريقية النادرة التي تمتلك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام تقريبا كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وأفريقيا الشمالية؛ واللغة الطارقية هي الوحيدة من بين اللغات الأمازيغية التي حافظت على جذور الأمازيغية التي أميتت.

الطوارق مسلمون سنيون مالكيون، ولقد كان لهم دور في نشر الإسلام عندما أسسوا مملكة أودغست، ومن بعدها دولة المرابطين، ثم مدينة تينبكتو التاريخية التي غدت من أكبر مراكز الإشعاع الحضاري والديني، ومركزا فريدا من مراكز التجارة في المنطقة بأسرها. كان إسلام صنهاجة اللثام الذي بدأ في عهد عقبة قد اشتد وتأكد في عهد الأدارسة، ووضح إسلام أهل اللثام وضوحا تاما في القرن الثالث الهجري، على ما ذهب إليه ابن خلدون. وقد اتبعوا مذهب الإمام مالك بن أنس الذي شاع في بلاد المغرب منذ القدم [22].

18- محمد أحمد شفيع: مقالات عن الطوارق، مخطوط مكتبة المؤلف، ص 7.

19- الحجي آمي: ملخص عن تاريخ الصحراء.

20- بيان في لغة اللاهوت، لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر، أوطان الأرباب جـ 1، ص 9

21- Jane E. Goodman (2005) Berber Culture on the World Stage: Village to Video, Indiana University Press ISBN 978-0-253-21784-4

22-S., Chaker, (1 Jul 1986). "Amaziɣ (le/un Berbère)". Encyclopédie berbère (ISSN:1015-7344. Archived from the original on 2019-07-30.

نتائج البحث

عاش الطوارق حياة بداوة عريقة في الصحراء الكبرى منذ آلاف السنين ولا يزال بعضهم إلى اليوم متمسك بنمط العيش هذا بسبب التهميش الذي عانوه من الدول التي تقاسمت أراضيهم. عرف الطوارق بتسميات عديدة في مراحل تاريخية متلاحقة، ففي عصور ما قبل التاريخ عرفوا بالجرمنتيين، وفي أوائل العصر الإسلامي عرفوا بالملثمين، ثم المرابطين، وأخيرا في العصر الحديث عرفوا بالطوارق.

الطوارق هم أخلاف الجرمنتيين الذين استوطنوا الصحراء الكبرى في جنوب ليبيا وجنوب الجزائر منذ آلاف السنين، ولا تزال آثارهم باقية إلى يومنا هذا في جبال تاسيلي وجبال تادرارات وجبال آهقار. وقد قسم النسابة الأمازيغ إلى قسمين كبيرين: البرانس والبتر. ونسبت صنهاجة - التي ينتمي إليها الطوارق - إلى الأمازيغ البرانس.

وينتشر الطوارق عبر مساحة واسعة على تخوم الصحراء الإفريقية الكبرى، تضم كافة دول المغرب العربي الخمس وأربع دول افريقية أخرى هي مالي والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد، إلا أن الغالبية منهم تتمركز أساسا في جمهوريتي مالي والنيجر وفي الجزائر وليبيا؛ وعلى امتداد تاريخهم الطويل، كانت البداوة وحياة الرعي والترحال بحثا عن مواطن الكلأ، هي السمات الغالبة على مجتمع الطوارق، دون أن تحدهم حدود سياسية أو جغرافية في هذا النطاق الجغرافي الممتد من أعماق الصحراء إلى حدود نهر النيجر وبحيرة تشاد.

ويتحلى الطوارق بالاستقلالية والاعتزاز بأنفسهم، وهم محاربون أشداء وقد اشتهر فرسانهم في الفتوحات الإسلامية، وفي عهد المرابطين خاصة، وكانوا القوة الرئيسية للجهد الإسلامي في معركة الزلاقة بالأندلس، وجميعهم مسلمون مالكيون، لكنهم ليسوا على مستوى واحد من التدين ، وللطوارق لغة حافظوا عليها منذ أزيد من 3500 عام، وحروفها ما زالت في الجبال والكهوف والمغارات، شاهدة على وجود الإنسان الأمازيغي بهذه الصحارى منذ القِدم.

طوارق الصحراء في الجنوب الجزائري ومنطقة فزان في ليبيا، وأهم قبائلهم كل هغار وكل آجر في صحراء الجزائر، ثم إيمنغاسن وأوراغن وكل آجر في فزان ومدينة غدامس الليبية عند التقاء الحدود مع كل من تونس والجزائر، وكل هذه القبائل تشترك في نفس الثقافة، ومعظمهم عند سؤالهم عن أصلهم يقولون إنهم من أصول حِمْيَرية يمنية. وملامحهم عربية جنوبية واضحة؛ ويضع الطوارق كلمة (كل) وتعني (بنو أو أهل) للتعريف بفروعهم. وقد اكتسبوا صفة (سادة الصحراء) لما أثبتوه من قدرة على مواجهة وتحدي ظروفها الجغرافية والمناخية القاسية، ويطلق عليهم في الكتابات الأوروبية (الرجال الزرق) لكثرة استعمالهم القماش الأزرق لباسا. ويفضل الطوارق أن يطلق عليهم اسم (إيماجغن) أو (تماشق)، وهما مرادفان لأمازيغ ومعناها الرجال الأحرار.

ولم يغير الاستعمار الفرنسي كثيرا من عادات الطوارق وحياتهم الاجتماعية ونمط عيشهم، حيث لم يستطع إخضاعهم لسيطرته الكاملة طوال ستين عاما منذ مطلع القرن العشرين. غير أن ما عجز الاستعمار عن تغييره طوال ستة عقود استطاع عاملان، سياسي وطبيعي، أن يغيراه في اقل من ربع هذه المدة.

فمع قيام الدول المستقلة في المنطقة، وجد الطوارق أنفسهم موزعين و مهمشن بين بلدان متعددة لكل منها نظامها الخاص وحدودها الجغرافية التي تمنع، نظريا على الأقل، اختراقها وتجاوزها إلا بضوابط وشروط سياسية وأمنية، لا اعتبار فيها لعوامل التواصل الإنساني والوحدة الاجتماعية بين أبناء شعب واحد مزقت السياسة أوصاله ولم تكن الجغرافيا أكثر إنصافا أو أحسن حالا بالنسبة إليه ، وفي أوائل السبعينات الماضية جاء العامل الطبيعي المتمثل في الجفاف الذي عم المنطقة ليضع عبئا إضافيا على الطوارق وعلى نسيجهم الاجتماعي وطبيعة حياتهم التي ألفوها طوال قرون وقرون.

واعتاد المؤرخون والرحالة العرب القدامى على تسمية الطوارق بالملثمين، لمحافظتهم الشديدة على هذه العادة منذ فجر التاريخ، حيث يغلب على الطارقي وضع لثام في الحل والترحال ويلفه بإحكام على وجهه حتى لا يظهر سوى العينين، على عكس النساء اللائي يكن سافرات الوجوه في الغالب.

يمارس الطوارق الرعي باعتباره أهم مورد اقتصادي لهم وإتباع قطعانهم بحثا عن المراعي المناسبة، فالمعروف عن الطوارق القاطنين في بيئة صحراوية جافة لا تصلح فيها الزراعة وذلك لاعتمادهم على تربية المواشي من الجمال والأبقار والنعاج والمعز التي تشكل قطعان كبيرة تلزمهم دائما علي البحث علي أماكن رعي جديدة وتوفير المياه لسقيها، حيث تعتبر الثروة الحيوانية عنصر أساسي لدي الطوارق وتوفر لهم اللحم والحليب، كما اهتموا بالحرف و صناعة كل لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية، القصاع، الأقداح والخيمة من الجلد، وأوتاد الخيمة، ركائزها ورواحل الإبل وسروج الخيل كما يصنعون آلات الحرب والدرق والرماح والسيوف والخناجر ويصنعون الحلي للنساء والرجال كالخواتم والأقراط والمجوهرات والخلاخيل وصياغة المعادن.

المراجع

أ. المراجع العربية

1. شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981.

2. اسماعيل أحمد محمد، أثر الواسطية في نشر الطوارق للاسلام في غرب افريقيا، جامعة الوادى، 2017.

4. جمال سلامة على : النظام السياسي والبناء الاجتماعى : النموذج الوقعى لتحليل النظم السياسية , دار النهضة العربية . 2006 .

5. سليم، قاموس الانثروبولوجيا، 1981 ، الصفحات 989-988.

6. أبن بطوطة : تحفة النظام فى غرائب الامطار وعجائب الاسفار الجزء الأول

7. رسائل الى المرابطين : رسائل الطوارق الى الاب شار روفقو , 1999

8. يوهانس نيكولاس فلكولور الطوارق: قصائد واغانى من الوذاغ . 1994.

9. فاروق أحمد مصطفى , محمد عباس ابراهيم : الانثروبيولوجية ثقافية , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , 2010.

10. تشارلز دانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، ص 30، ص 42، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا.

12. عمر الأنصاري: الرجال الزرق، ص 54، دار الساقي، بيروت – لبنان.

17. أحمد بوحامدة (2018). "الطوارق والنزاع في شمال مالي: الديناميات المحلية والعوامل الإقليمية" (ط. 17). مجلة العلوم السياسية والقانون.
18. محمد أحمد شفيع: مقالات عن الطوارق، مخطوط مكتبة المؤلف.
19. الحجي آمي: ملخص عن تاريخ الصحراء.
20. بيان في لغة اللاهوت، لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر، أوطان الأرباب جـ 1.

ب. المراجع الأجنبية

1. Tyler Burge, CONCEPTS, DEFINITIONS, AND MEANING, October 1993.
2. Pr. Jeffrey ،Heath, (2005). A grammar of Tamashek (Tuareg of Mali). Berlin: Mouton de Gruyter.
3. Rasmussen ،Susan J. (1998). "Within the Tent and at the Crossroads: Travel and Gender Identity among the Tuareg of Niger". Ethos.
4. A Political Analysis of Decentralisation: Coopting the Tuareg Threat in Mali" (Sep. 2001) The Journal of Modern African Studies Vol. 39, No. 3.

5. Karl –G. Prasse: Th Tuaregs The Blue People, Museum Tusculanum Press, University Of Copenhagen.
6. Jane E. Goodman (2005) Berber Culture on the World Stage: Village to Video, Indiana University Press ISBN 978-0-253-21784-4
7. S., Chaker, (1 Jul 1986). "Amaziɣ (le/un Berbère)". Encyclopédie berbère (ISSN:1015-7344. Archived from the original on 2019-07-30.